الشباب فتوهمتها احوالا سمعت الشيخ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول ما سمع احد هذه الحكاية من
الشيوخ الا رق لهذه العجوز وقالوا انها كانت منصفة قال الشارح رضي الله عنه اما نهار
فطم النفس عن المالوفات المعتادات فاصل عظيم في التفرغ للطاعات فان العبد كلما اندفع في حقه
الصوارف والموانع سهل عليه في الغالب والابد تحصيل العمل النافع ولذلك فان المشايخ الاراده
ترك ما عليه العاده والنفس تحتاج الي القايد والسايق في ابتدا امرها فالرجا يقودها والخوف
يسوقها فاذا استقام السايق والقايد مشت النفس الي الخير بسهولة ومتي افرط القايد
ذلك ومتي افرط السايق قتل وذلك ان المحمود من الرجا ما حمل علي الاعمال والمذموم منه ما
حصل عنه امن وادلال والمحمود من الخوف ما حجز عن المحرمات فان فرط حصل الياس والقنوط
من فضل خالق الارض والسموات قوله واذا ثارت عند غضبها استنقص من قدرها وابتلي
به من شانها فحقها ان تحقر اصلها وقدرها وقبح ما هي فيه من الحاله عند ربها حتي تنكسر عن
زهوها وغضبها وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فساله ان يدله علي افضل الاعمال فقال ان
لا تغضب وكرر عليه ذلك في كل سوال ولذلك قيل الغضب غول العقل معناه يتلفه ويذهبه
واذا ذهب العقل زال التصرف المستقيم ووقع العبد في ضده في اعمال اهل الجحيم ولذلك اذا
استحلت النفس شراب الرعونه اي تلذذت بذكر محاسنها وما من الله عليها به من فضايلها
فالصواب كسرها عما هي عليه فان ذلك يوقعها في نسيان منة ربها والعجب بعملها والكبر
علي من فقد ما هي فيه من علمها وعملها وغير ذلك مما امتازت به في دنياها واخراها فحق العبد
ان يرعي نفسه ذلك اي يوديها بكسرها عما هي فيه من زهوها وذلك بتعريفها اصلها وخسه
قدرها وفصلها فان اصلها من تراب وفصلها من ما مهين واذا اراد ان ينزل قدر غيره ويذمه ضر
بغايه نقصه قال له لا اصل له ولا فصل فانا دم صلوات الله علي نبينا وعليه من تراب وهو اصلنا
وفصلنا من ابانا وهو الما المهين هذا لو لم ينه الله عن العجب والكبر ويحرمه لكان في معرفه
الانسان بقدره ما يحجزه عنه ويتركه وقال وجهد العوام في توفيه الاعمال اي تكثيرها
والخواص انما همتهم في تصحيحها وتصفيه احوالهم وتكميلها وقوله فان مقاساة الجوع
والسهر وان كان شديدا فهو بالنسبه الي مراعاة الاحوال والانتقال عن الاخلاق المذمومه المذمومه
والتخلق بالاخلاق المحموده سهل يسير وقول الشيخ رحمه الله ومن غوامض افات النفس استحلا المدح
والثنا عليها فان من تحسى منه شربه حمل السموات والارضين علي اشفار عينيه وهذا صحيح فان
العبد يتحمل في وقت الهوى وشده الرغبه المقصود ما لا يحمله في غير ذلك الوقت ولا سيما
اذا غلب علي ظنه ان ذلك المقصود ينقله الي ما هو اعلي منه تزايدت رغبته فيه وخف عليه تعاطيه ظنه
ولذلك حمل السموات والارض علي اشفار عينيه فمن كان محبا للدنيا مالها وجاهها فاذا اثني عليه بصفات
الكمال غلب علي ظنه واستشعر حيازته لكمال معرفته فيها ونيل درجاته منها تحمل في ذلك كل مشقة

وكانت

وكانت عليه كل مولمه والدليل علي ان شده رغبتها انما كانت عن وجود لذته انه اذا تغير
حامده فتر عما هو فيه وتغيرت حالته وهذه الحكايات التي اوردها في تغيب هذا الامر
عن الشيخ الذي كان يصلي في الصف زمانا طويلا حتي عرف بذلك الموضع واتفق في بعض الاوقات
تاخره عن البكور فصلي في غير ذلك الموضع فوجد في نفسه انكسارا وضعفا وتاملها فوجد سببه
ان نفسه كانت فرحة بنظر الناس عليها وملازمتها لذلك الموضع المخصوص من اجله كرر ذلك فلما
ادرك ذلك من نفسه انقطع عن الناس واعاد صلاته والذي حج حجات كثيرة علي التجريد يقاسي
التعب والجوع ومشقه الاسفار فلما طلبت منه والدته يوما ان يملا لها جرة ماء فثقلت
عليه نفسه اتهمها في اعمالها في الحج انها لما كسلت عن ادا واجب فرض العين واما المراه التي
طعنت في السن وكانت عابده فاخبرت عن نفسها نشاطا في العمل واحوالا ترد علي قلبها تزعجها
وتقلقلها مما تجده ارباب الاحوال فلما كبرت فقدت تلك الاحوال فحسبت نفسها وعلمت
معرفتها بالله تعالى التي من عليها بها لم تتغير وان الاحوال التي كانت تطرقها تغيرت فقالت كنت
اظن ان تلك الاحوال فاذا هي عمل الشبيبه وقوه النفس فاخبرها لو كانت عن اليقين والعرفان لدامت
بدوامه في كل زمان فانظر كل من سمع كلام هذه العجوز رق لها وعرف انصافها من نفسها قال
الامام رضي الله عنه وسمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان
يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصري يقول ما اعز الله عبدا بعز هو اعز
له من ان يدله علي ذل نفسه وما اذل الله عبدا بذل هو اذل من ان يحجبه عن ذل نفسه
قال الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح فان ذل النفس من وجهين عظيمين احدهما معرفه
قدرها في اصلها وتقلبها في اطوار خلقها من نطفه الي علقه الي مضغه وخروجها من مجرى
البول مرتين من الذكر والانثى وعجزها وقله حيلتها لجلب ما ينفعها ودفع ما يضرها عنها
فهذا احد الوجهين الوجه الثاني كونها مربوبه مكلفه مامورة منهية مسؤولة مواخذة
بكل حركة وسكنة من افعالها علي ان اقل احوال الناس اكلها وشربها ونكاحها ونومها فانها في اخرها
واعطا بها فان احسنت وقامت بما كلفها به ربها كان ذلك سبب خسرانها وهلكها فما
اعز الله عبدا بعز اعز له من ان يدله علي هذه الامور فاذا عرف قدر نفسه ردها عن
عجبها وكبرها وغير ذلك من افاتها فاذا عرف تكليفها وما هي ماخوذه به ومطالبه به من نصبها
اجتهد في العمل للقيام بما عليها واخذ ما لها فهذا معني قوله ما اعز الله عبدا بعز اعز له من ان
يدله علي ذل نفسه فانه اذا فعل ذلك صار عزيزا عند الله وعند الخلق واذا اشتغل عما
ذكرناه تجبر وتكبر واهمل ما به امر وارتكب ما عنه زجر فحصل له الذل الاكبر والعار
بالله في الدنيا والاخره قال الامام رضي الله عنه وسمعته يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازي
يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول ما هالني شي الا ركبته قال الشارح رضي الله عنه وهذا لما

Copyright © King Saud University